المحاضرة الأولى:

محاضرة تمهيدية/ مفاهيم أساسية

مقدمة :

يعود الفضل للاهتمام بالطفل من الناحية النفسية المرضية لأعمال بنيه سنة 1905 حول الذكاء ، وينضم اليه في نفس السنة فرويد في دراسة للسلوك الجنسي، ثم بعد ذلك بياجيه و Wallon في دراستهما للنمو المعرفي والنفسي على التوالي (ميموني، 2005، 24)

السواء واللاسواء عند الطفل والمراهق

قبل الحديث عن السواء والمرضي عند الطفل والمراهق لابد من التذكير بأن الحكم على السلوك بصفة السواء أو بصفة المرضي مرتبط بنوع المحك أو المعيار المستخدم لذلك نجد مثلا:

المعيار الاحصائي :الذي يعبر عنه منحنى GAUSS حيث يرتبط السواء بالمعدل أو المتوسط، أما ما يتوزع على أطراف المنحنى فهو الشاذ.

المعيار الاجتماعي : وهو الذي يرى أن سواء الفرد يعني أن يتحقق مع قوانين ونظم مجتمعه أو المجتمع الذي يعيش فيه.

المعيار الوظيفي: اذا تعرض الفرد لمشاكل وضغوط تفوق طاقته الدفاعية وجعلته يتألم هو أو مجتمعه والتكيف وتحقيق ذاته في المحيط (ميموني 2005 ص 36).

المعيار الاكلينيكي : هو المتعارف عليه في علم النفس المرضي والمعمول بيه بين الأخصائيين، هو يتمثل في الأعراض والتصنيفات التي أدرجت في الدليل التشخيصي والأحصائي للاضطرابات النفسية والعقلية_حاليا الاصدار الخامس.DSM5

اشكالية السواء والمرضي عند الطفل و المراهق:

- السواء والمرضي صعب التحديد عندما يكون الفرد في سيرورة النمو.
- السلوك يرتبط بالمرحلة العمرية : ما يعتبر عاديا في مرحلة ما قد يعتبر مرضيا في مرحلة لاحقة، مثال : طفل 9 أشهر يصرخ ويضري أرجله بالأرض لطلب شيء ما فهذا السلوك لا يجعله مريضا، بينما طفل الخمس سنوات اذا أظهر هذا السلوك مع شرط الاستمرارية فهنا يصبح الأمر مختلفا.
- نلاحظ بعض الأعراض عند الطفل لكن لا يمكن القول عنها أنها مرضية ولكن نقول أنها منظمة للنمو، كقلق أو حصر الشهر الثامن.
- أيضا كل مرحلة من مراحل النمو تساعد على التخلص من صراعات المرحلة السابقة.
- أيضا هناك فروق فردية بين الأطفال في عملية النمو بل في الفرد نفسه مثلا قد يبدو جيدا في الحركة ومتأخرا في اللغة.
- من الممكن أن يظهر نكوص لمرحلة سابقة لكن هذا النكوص ليس نكوصا سلبيا، بل يساعد على تجاوز المرحلة وكأن الطفل يرجع للوراء لكي يجمع قواه لاجتياز المرحلة الحالية (ميموني ، 2005، 38).

مسألة البنية والتنظيم :

يقول فرويد : عندما تنكسر قطعة من الكرستال فانها لاتنكسر بحال من الأحوال _بشكل عفوي _وانما تنكسر وفق ضغوط العصف أثناء تكوينها أو تشكيلها كذلك بالنسبة للشخصية.

البنية : هي تنظيم ثابت ونهائي لمكونات ميتاسيكولوجية أساسية سواء كانت حالة مرضية أو سويةBergered1974.

- عند الطفل لا نتحدث عن بنية ولا نقول لديه بنية ذهانية أو بنية عصابية وانما نقول تنظيمات orgamisation ذهانية وتنظيمات عصابية، الخاصية هنا هي القابلية للتغيير وفق عوامل خارجية وعوامل داخلية، حيث تكتمل البنية في مرحلةالمراهقة عند البلوغ. في هذه الحالة نواجه مشكلة حقيقية أمام موضوع التشخيص للاضطراب عند الطفل. مثلا اذ أظهر الطفل أعراضا ذات طبع عصابي فهي لا تعني بالضرورة وجود عصاب أو بنية عصابية لأن الطفل الذي يظهر هذه الأعراض يمكن أن يشفى خلال سيرورة النمو نظرا لامكانياته التطورية التي يملكها.
- اذا ساءت الظروف الخارجية والداخلية في هذه الحالة يمكن أن يطور الطفل اضطرابا نفسيا (خياط، د س، 5).
- يمكن في مرحلة المراهقة أن يتحول التنظيم الذهاني الى تنظيم عصابي بفضل المعالجة المعمقة حسبbergered
- كل هذا يبين أهمية التشخيص المبكر لكي لا يتحول التنظيم العصابي أو الذهاني الى اضطراب حقيقي. وهنا تكمن أهمية التشخيص المبكر وتقديم العلاج في المراحل المتقدمة من حياة الطفل.

النماذج المفسرة للسلوك المرضي عند الطفل:

في دراسة السلوك والتوازن النفسي الانفعالي للطفل لايجب اعتبار أن العادي و اللاسواء حالتان منفصلتان، حيث لايوجد حدود فاصلة لكل مجال (العادي _ اللاسواء).

الأول :العادي يشهد عمليات نفسية عادية.

الثاني :المرضي يشهد تدمير واختلال بطولوجي مرضي.

نمو ونضج الطفل هو في حد ذاته مصدر للصراع قد يؤدي الى أحداث العرض ، كما أن هناك تداخل كبير بينهما فيمكن أن يكون عادي مرضي كما هو في حالة EIP أو النضج المبكر. كما يمكن أن يكون مرضي عادي كما هو الحال في الخوف عند الأطفال الصغار .

النماذج المفسرة للسلوك

من أجل تقييم شدة ونوع المرضية للتنظيم النفسي المرضي الحالي للطفل يجب أن ندمج العديد من المداخل أو النمادج التفسيرية وهي خمسة :

- النموذج السيميائي الوصفي le modèle sénuo logique descriptif
- نموذج الآفة le modèle lésionnel
- النموذج الخلقيle modèle ontogénétique
- النموذج التحليليle modèle analytique
- النوذج البيئي le modèle environneméntal

عند مواجهة الأخصائي النفساني لحالة الطفل كحالة متفردة سيستخدم نموذج أو عدة نماذج من المذكورة سابقا والتي تبدو أنها الأصح لفهم الحالة ووضع لها جدول عيادي.

الشكل 1 يبين العلاقة بين هذه النمادج